موقف السودان

« قبل ان اجلس في مكاني لا ارى بداً من الاشارة الى الصورة المشجعة والمضادة لهذه الصورة وهي صورة السودان . فان اهل تلك البلاد لا يزالون محافظين على النظام التام بحسن ادارة السر لي ستاك حاكمها العام وقد قدموا برهاناً واضحاً على ولائهم لبريطانيا العظمى بزيارة وفد من اعيانهم لهذه البلاد في يوليو الماضي فاستقبلهم جلالة الملك فاعربوا لهُ اولاً ولي ثانياً عن حسن قدرهم للعمل الذي قامت بهِ بريطانيا العظمى لاحياء بلادهم وتنصلهم من الحوادث التي جرت في مصر . وقالوا ان همهم الوحيد هو ان يبقوا في الامبراطورية ولا ينفصلوا عنها. وهذا الدليل السار على الولاء سببهُ جلةُ اوكلهُ العمل العجيب الذي تم على يد السر رجنلد ونجت الحاكم العام السابق فانهُ وقف مقدرتهُ العالية سنين كثيرة على زيادة خير السودان وعلى وضع اساس حكومة جاءت الايام مصدقة لطوائف الحكم البريطاني فيها كل التصديق » انتهى

كتاب التفاحة

(تابع ما قبلهُ)

سيرة النفس وسيرة الهوى

ثم عاد كيناس الى الكلام فقال : اسألك ايها المعلم الصالح ان تفصل لي بين سيرتي النفس والهوى كما فصلت بين لُبابيهما

فقال الحكيم (سقراط) : هل وجدتَ مختلف اللباب الا مختلف العمل

فاجاب كيناس : ما وجدتُ مختلف الباب الاَّ مختلف العمل . ولكنني قد احببتُ ان تفرق لي بين سيرة النفس وسيرة الهوى بميزات واضحة يلحق بكل واحد منها عمل دون صاحبهِ

فقال الحكيم : عملُ النفس كلُّ حسنة وعمل الهوى كل سيئة

فقال كيناس : ما انا من التفصل بين عمل النفس الحسن وعمل الهوى السيء باغنى مني عن التفصل بين لباب النفس ولباب الهوى

فقال الحكيم : الحسن هو ما اذا اتى اليك اصلحك . والسيء هو ما ان اتى اليك افسدك

فقال كيناس : ما من شيء اتى يصلح جانباً مني الاَّ افسد آخر . فكيف اسميهِ حسناً معما افسد مني او سيئاً معما اصلح

فقال الحكيم : المصلح ما يصلح منك ما انت حقيق ببغضهِ

العقل والجهل

فقال كيناس : اي انا حقيق بحبهِ او ببغضهِ

فقال الحكيم : عليك ان تحبَّ عقلك وتبغض جهلك

فقال كيناس : وإني كذلك

فقال الحكيم : اذا كنتَ كذلك . فاعلم انهُ ليس يزيد في العقل الاَّ ما نقص من الجهل . ولن يزيد في الجهل الاَّ ما نقص من العقل . فان كنتَ للعقل محبًّا فانك لتحبُّ ما اصلحهُ . وان أفسد عليك جهلك فانهُ ليس بمفضلٍ عليك فيما اهَّلك من الاتصال بعدوِّ عقلك بادنى من افضالهِ عليك فيما اصلح من عقلك

فقال كيناس : انك قد فصلت لي بين النفس والهوى بما ابديت من ضوئها وحرها . واريتني اختلاف اعمالها باختلاف لبابهما . وسألتك الفصل بين الحسن والسيء . فقلتَ : ما زاد في العقل حسن وان اضرَّ بالجهل . وما اضرَّ بالعقل سيء وان زاد في الجهل . فاقررتُ بذلك لعلمي ان العقل حسن والجهل سيء وانهُ لا يزيد في كل واحد منهما الا شكله ولا ينقص منهُ الاَّ ضدهُ . ولكني لا استغني بذلك دون ان اعلم ماذا يزيد في عقلي او جهلي او ينقص منهما

قال الحكيم : يزيد في عقلك كل مبيِّنٍ للاشياء . وينقص منهُ كل ملبسٍ لها

قال كيناس : وما الملبس للاشياء والمبين لها

الصدق والكذب

فقال الحكيم : الصدق واشباههُ من البيان . والكذب واشباهه من اللبس

قال كيناس : قد علمتُ تبيين الصدق للامور وتلبيس الكذب لها فافدني عن اشباههما التي ذكرت انضمام حكمها اليهما

فقال الحكيم : العدل من اشباه الصدق والجور من اشباه الكذب

فقال كيناس : وماذا يجمع العدل والصدق

فاجابهُ الحكيم : كلاهما قد وضع الشيء في موضعهِ

فقال كيناس : وماذا يجمع الجور والكذب

فاجابهُ الحكيم : كلاهما قد اخطأ الموضع

فقال كيناس : انما يعدل ويجور من كان قاضياً وانا قد سألتك عن الاعمال جميعاً دون اختصاص

فاجابهُ الحكيم . كل الناس قضاة . لكن منهم من هو قاض عام ومنهم من هو قاض خاص . فمن اخطأ رأيهُ في الاشياء وكذب لسانهُ بايرادها . او تناول البيان عنها بما ليس فيها فقد جار . ومن اصاب رأيهُ فيها وصدق لسانهُ بروايتها . وقنع بما هو لهُ منها ولم يتجاوز الى ما ليس لهُ فقد عدل . ولم يخرج شيء من اعمال الناس عن هذين الشأنين

قال كيناس : وكيف لي ان اعلم انهُ لم يخرج شيء من اعمال الناس عن هذين الشأنين

فاجابهُ الحكيم : بان تعرض على نفسك ما يخطر في بالك من الاعمال . فهل تجد شيئاً منها الاَّ وهو منضوٍ تحت احد هذين الشأنين فان لم تجد شيئاً مما خطر في بالك الاَّ وهو منضوٍ تحت احدهما فاجعل ما لم يخطر في بالك موافقاً لما خطر

قياس الشيء على الشيء

قال كيناس : كيف اقضي في امر ما لم يخطر ببالي كقضائي في امر ما خطر

فاجابهُ الحكيم : لئن كان قليل الاشياء من كثيرها . وان شبه اجزائها لازم لوصولها فما تعليل ما يرى بدٌ من ان يكون من نسيج ما لا يُرَى . وما كثيرٌ لا يُرَى يمتنع من أن يلزمهُ شبهُ ما يُرَى . ولئن كان الامر كذلك فان ما لم يخطر في بالك ليجرينَّ مجرى ما خطر من حسن وسيء

قال كيناس : وماذا يضطرني أن أوجب على الغائب شبه الحاضر

فاجاب الحكيم : يضطرك الى القضاء على الغائب بايجاب شبه الحاضر انهُ لا جهل غائب يفعل وان العلم فاعلٌ بالحاضر

قال كيناس : ماذا يكسبني علم الحاضر المشاهد ان جهلت الغائب او ما تزيدني علماً بالغائب معرفة المشاهد . فاني أرى العلم من الارض يخفي ما وراءهُ ويبدي

ما امامهُ . فلا يزيدني بصري ما امام اطلاعاً على ما وراء . ولا يمنعني جهل ما وراء عن الاطلاع على ما امام

قال الحكيم : ألا ترى انك قد قضيتَ بأن وراء ذلك العالَم ما لم تبصرهُ . فكذلك يجب القضاء بأن وراء ما خطر عليك من الامور عالم يخطر . كما ان وراء ما ابصرتَ من الارض ما لم تُبصر

فقال كيناس : لقد اوجبت على رأيي القضاء على الغائب . ولكن اخبرني ماذا يدخل عليَّ من جهل المشاهد اذا لم اقضِ بذلك فان علمي بما اسأل عنهُ يزيدني من منزلة الجاهل بعداً ويجعلني الى القضاء على الغائب مسرعاً

فاجاب الحكيم . لم يعرف الشيء من لم يفصل بينهُ و بين خلافهِ

قال كيناس : وكيف ذلك

فاجاب الحكيم : قال درانس (١) لم يعرف الحق من لم يفصلهُ عن الباطل . ولم يستبنِ الصواب من لم يعزلهُ عن الخطاء . فاذا صح ذلك فالمن لم يفصل بين الامرين سبيل الى معرفة المشاهد

تقبيح المحرَّمات

قال كيناس : قد انتهى الكلام الى هذه الغاية . فالآن اسألك يا امام الحكمة ان تصحح لي وجه القضاء في ما اجمعت العامةُ على تقبيحهِ من الزنى والسرقة والسكر والقتل والقَسْم والخيانة والغدر واشباهها في ما عدَّ من السيئات فانهُ متى اجتمع لي ذلك في حدٍّ جامع كان ما لم يخطر عليَّ داخلاً في ما خطر

فاجاب الحكيم : كل هذه المناول في حدٍّ ما ليس جائزاً . وكل ما ليس جائزاً كاذب مفسد لعقل صاحبهِ مكدِّر لغيرهِ

قال كيناس : كيف ذلك

فاجاب الحكيم : ألا ترى انهُ ما من احد يرتكب شيئاً مما سبقت تسميتهُ الاَّ في حال هياج شهوة او غضب او حرص . ولا يصحُّ ان يثور شيء من ذلك في حين استكمال العقل صحتهُ . واذا لم يصحَّ العقل لم يكن السبيل قصداً سوياً ومن لم يسر في السبيل السويّ جار . ومن جار كذب

(١) الظاهر ان سقراط يستشهد بكلام فيلسوف آخر

الحسنات

قال كيناس : اما السيئات فقد ضممتَ بينها في الحدّ الجامع لها . فهل انت ضامٌ لي بين الحسنات

فاجاب الحكيم : لا يترك الجور الاّ الى القصد . ولا الباطل الاّ الى الحقّ . ولئن كان قبح هذه السيئات قد اتضح عندك فليتضح لك ان تركها حسنات

قال كيناس : أو مالي سبيل الى الحسنات بترك هذه السيئات . كما أن تارك الكذب لهُ بسكوتهِ سبيل الى غير الصدق . ولتارك الحق بوقوفهِ عنهُ سبيل الى غير الباطل

فاجاب الحكيم : ألا ترى انّ الساكت لم يسكت الاّ على علم او جهل . فان كان على علم فقد صدق او على جهل فقد كذب . والواقف لم يقف الاّ على رشد او غيّ . فان رشد عدل وان غوى جار

قال كيناس : قد فرقت لي بين ما خطر عليّ من لباب النائب والحاضر

فاجاب الحكيم : عندي انهُ مصلح الشيء ومفسدهُ لا يصلح الاشياء الاّ الاّ اشكالها ولا يفسدها الاّ خلافها

قال فريطون : ولا بدّ من ذلك

فاجاب الحكيم : ألا ترى انهُ لو كان ثواب الفلسفة غير شكلها لكان خلافها . ولو كان خلافها لجزي الفيلسوف بفلسفتهِ جهالةً وبصيرهِ عمى وباحسانهِ إساءة . فلا يكون ذلك ثواباً بل نكالاً . وقد استحال ذلك على من احتمل الفلسفة اقراراً بثوابها . ولم يبقَ بعد استحالة ذلك الاّ ثبوت خلافهِ . وخلافهُ ان يجزى بالبصر بصراً وبالإحسان احساناً وبالفلسفة كمال الفلسفة

قال اقريطون : قد اقنعتني بثواب الفلسفة فاقنعني بعقاب الجهالة

فاجاب الحكيم : لما كان الجاهل ضد الفيلسوف كان جزاؤهُ ضد جزاء الفيلسوف . ولو كان جزاؤهُ مثل جزاء الفيلسوف لجزيَ بعماهُ بصراً وباساءتهِ احساناً وبجهالتهِ فلسفة . فاذن لم يكن للشيء نكال . بل كان لهُ على اساءتهِ ثواب . وذلك مستحيل فلم يبقَ بعد امتناعهِ الاّ ثبوت خلافهِ وهو ان يجزى الفيلسوف باحسانهِ احساناً والجاهل باساءتهِ اساءة (للبحث بقية)